المصطلح العلمي العربي (أهمية الصدور و الكواسع في وضع المصطلح العلمي)

أ. رخرور خضرة

الملخّص :

لقد شغل الناس عبر تاريخهم الطويل ما يرد على بيئتهم من تعابير و كلمات غريبة لما اعتادوا استعماله في لغتهم الأصلية التي هي عنوان وجودهم ، وما زاد من اهتمامهم أن هذه الألفاظ الواردة لم يكن لهم عند استعمالها محيد ، فإما أن يجدوا لها مقابلا في لغتهم ، وإما أن يقبلوا اللفظ الغريب، و إما أن يبتكروا لفظا جديدا . أما أن يستعملوا لغة أجنبية في موضع اللغة الأصلية في شتى جوانب الحضارة فإن في هذا تقويضا لمعاني الأمة في النفس ، وهدما لتاريخها ، و إلغاء لحضارتها .

و المصطلح هو ما اتفقت عليه طائفة مخصوصة، و كل نص علمي يحتوى على مفردات عامة و مفردات متخصصة بحقل معرفي ندعوا هذه الأخيرة بالمصطلحات ، و هذا يعني أن لكل علم مصطلحاته الخاصة به .

وقد زاد الاهتمام بالمصطلحات العلمية مع التقدم العلمي في عدة دول أوروبية فكثر الباحثون أمثال لينيه في العلوم البيولوجية ، و مورفو في مجال الكيمياء . إلا أن العمل في مجال المصطلحات في القرن الثامن عشر كان محددا بالإطار القومي في داخل القارة الأوروبية ، أما في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر فقد كانت المؤتمرات العلمية المختلفة مجالات لوضع المعايير الدولية للمصطلحات مثلا مؤتمر علماء الحيوان١٨٨٩ و مؤتمر علماء الكيمياء ١٨٩٢ .

أما العرب فقد شعروا بالحاجة إلى المصطلح عندما قاموا بنقل العلوم و المعارف من اللغات الأجنبية إلى لغة القرآن الكريم ، و لقد ادعى الكثيرون أن لغة الضاد غير مناسبة لفهم العلوم الحديثة و تدريسها ، وذلك لأن الكثير من المصطلحات العلمية الحديثة لا يوجد ما يقابلها باللغة العربية و أنها عاجزة عن إيجاد لفظة عربية واحدة تؤدي معنى المصطلح الأجنبي ، علما أن أول معجم طبي لغوي في التاريخ تحت عنوان كتاب الماء ألفه العالم الجليل عبد الله الأزدي الصحاري الذي تتلمذ على يد البيروني و ابن سينا ، و كشف عن عبقريته النادرة في الطب و الكيمياء ، فكان يذكر اللفظ مع الجذر العربي ثم يشير إلى الجذر الأعجمي للفظ .

ورغم هذا نجد بعض المستشرقين يقولون ((إن اللغة العربية فقيرة بالمصطلحات العلمية و ألفاظ الحضارة ، بينما اللهجات العامية أصبحت أغنى منها بتلك المفردات ، و لهذا لابد أن تتوارى اللغة العربية الفصحى كما توارت اللغة اللاتينية خلال عصر النهضة ، و أن تحل محلها لغات فتية أكثر قابلية للنمو و التطور كاللغات الفرنسية و الإيطالية و الإسبانية التي نشأت منها .

و كما أن للغة العربية أعداء لا يعدمون وسيلة للقضاء عليها ، فإن لها أبناء مخلصين نشأوا بين أحضانها ، و تغذوا بلبانها وهم أيضا لا يعدمون وسيلة في الذود عنها ، فقامت مجامع اللغة العربية بوضع أسس الترجمة و التعريب و التي صدرت عنها مئات من الألفاظ العربية التي تعبر عن المصطلحات الواردة في مختلف العلوم الأجنبية الحديثة ، ومن أبرز أهداف هذه المجامع : الحفاظ على سلامة اللغة العربية من اللحن و إناؤها بالمصطلحات اللازمة لدراسة العلوم الحديثة و توحيد هذه المصطلحات .

أهمية السوابق و اللواحق في وضع المصطلح العلمي العربي :

إن فكرة ترجمة المصطلح الأجنبي العلمي إلى اللغة العربية بالاعتماد على ترجمة السابقة و اللاحقة ليست حديثة العهد ، ومن الأوائل الذين تكلموا عن السوابق و اللواحق الأمير المرحوم

مصطفى الشهابي الرئيس السابق للمجمع العلمي العربي ، و قد دعاها بالصدور و الكواسع ،وقد استعملها في معجم الالفاظ الزراعية الذي نشره عام ١٩٤٣ ثم أعاد طبعه بعد التنقيح و الزيادة في عام ١٩٥٧ .

ومن المعلوم أن المصطلحات العلمية لاتينية كانت أو فرنسية أو انجليزية تتألف من مقطع واحد أو أكثر مثلا : كلمة هي من أصل يوناني ، و تعني السائح أو السائر ، و تحول معناها إلى الذرة التي تحمل شحنة كهربائية موجبة أو سالبة ، أما في سوريا فقد أطلق عليها اسم الشاردة ، أما إذا كان المصطلح يتألف من مقطعين أو أكثر فإنه يطلق على المقطع الأول اسم البادئة أو السابقة ، و يطلق على المقطع الثاني اسم لاحقة أو كاسعة ، و هناك ألفاظ بسيطة تضاف إلى جذر الكلمة اسما كانت أو صفة أو فعلا في أولها أو في آخرها فتعطيها معنى آخر و تدعى لاصقة إلا أن هناك من يعتبر اللواصق من السوابق لأنها تأتي في بداية الكلمة .

و التقابل بين المصطلحات الأوروبية و العربية يتطلب إيجاد وحدة صرفية محددة كالوزن مثلا أو وحدة معجمية للتعبير عن سابقة معينة أو لاحقة معينة في المصطلحات الأوروبية .

وهناك عدة أسس عامة وضعها رائد علم المصطلح العام قوستر الذي دعا إلى التوحيد المعياري للمكونات اللغوية للمصطلحات الدولية ، وقد لاحظ نظام المكونات عن طريق الإلحاق في اللغات الأوروبية أو بالسوابق و اللواحق إلا أنه في بنية اللغة العربية على مستوى الكلمة و التركيب ما يسمح بإيجاد نظام واضح و محدد للمقابلات مع اللغات الأوروبية .

وتتراوح مفاهيم السوابق المصطلحات العلمية الأوروبية بين العددية و الضدية و التقابلية و النفي و التجانس و التعدد و الاشتراك و غيرها من المفاهيم ، مع الإشارة إلى أن النماذج المقدمة في هذا البحث من سوابق و لواحق هي على سبيل التمثيل لا الحصر فلها من الكثرة و التنوع ما يعجز عن حصره و استيفائه . وقد تم تناول وصفي وتحليلي للواحق و السوابق تمثيلا لا حصرا ، أما الوصف فهو من خلال جدول يتضمن السابقة أو اللاحقة ، ترجمتها ، المصطلح العلمي الأجنبي ، مقابله في العربية ، تركيبه في العربية ، أما التحليل فنخلص من خلاله إلى :

- طريقة تعامل اللغة العربية مع المصطلحات الأجنبية المركبة من هذه السوابق و اللواحق دلالة على ثرائها و مرونتها في التكيف مع العلوم الحديثة ، و قد اتخذت عدة طرق أهمها :

١/- ترجمة السابقة وحدها و جذع الكلمة وحدة و بالتالي كلمتين عربيتين مقابل مصطلح أجنبي واحد مركب .

٢/- ترجمة المصطلح الأجنبي المركب الواحد بمصطلح عربي واحد ، و ذلك بالاعتماد على المفهوم دون اعتبار للمكونات اللغوية للمصطلح الأجنبي .

٣/- اللجوء إلى التعريب ، وله في العربية ضوابطه المحددة، و يعتبر خروجا عن النمط العام في حالة ما إذا كانت المقابلات العربية وافية و كافية .

٤/- يلاحظ ترجمة المصطلح الأجنبي المركب الدال على النفي بجملة فعلية منفية .

- كثيرا من المصطلحات و المقابلات العربية تحتاج لمزيد من التوحيد المعياري كضرورة التخلص من الترادف القائم مثلا بين (ثنائي/ مزدوج) ، و ضرورة الاكتفاء بأحدهما ، أو بين (عديد/ متعدد) ، مضاد/ ضديد) ، (تساوي/تعادل) ، (نظير/ متشابه...
- يجوز دخول (ال) على حرف النفي المتصل بالاسم و استعماله في لغة العلم مثل : اللاهوائي .
- كلمة (غير) تسبق المشتقات الوصفية و صيغة النسب ، أما كلمة (عدم) فتسبق الأسماء و المصادر
- اللواحق خاصية من خصائص المصطلحات الأجنبية ، وهي المقطع الثاني من المصطلح ، و رغم انعدام هذا التركيب في اللغة العربية ، إلا أن له ما يقابله
- يلاحظ عدم استقرار الكلمات العربية في الاستعمال وحلول الكلمات المعربة محلها مثلا ترمومتر بدل المحرار
- لقد آثر البعض تعريب المصطلحات على ترجماتها العربية مثلا إيثار و تفضيل (فيزيولوجيا) بدل (علم الوظائف) بحجة أنه لم يحدد أية وظائف هي ؟
- قد يقابل المصطلح العلمي الأجنبي كلمتين عربيتين واحدة مترجمة و الأخرى معربة مثلا :

تارموديناميكا = الديناميكا (معربة) + الحرارية(مترجمة) وعليه فاسم التخصص العام معرب و اسم التخصص الدقيق مترجم

الخاتمة :

رغم ما تبذله مجامع اللغة العربية عبر أقطار الوطن العربي من جهود جعلت الضاد قائدا ، و جعلت له من إخوانه الحروف جندا مؤتمرين جابت بهم آفاق العلوم و حدائق الفنون ، و دافعت عن أهم ركن من أركان هويتنا العربية الإسلامية و سعت لمواكبة التقدم العلمي الأجنبي ، إلا أن مشكلة المصطلح العلمي ما تزال قائمة و تتمثل في عزوف الجامعات و مراكز التعليم العالي و البحث العلمي عن جعل العربية لغة علم و تعليم ، فتوصيات مجامع اللغة العربية تبقى كالكرة الثلجية التي تتضخم باستمرار ما لم يصدر قرار سياسي ملزم بتنفيذ هذه التوصيات ، والذي من خلاله يسهم القادة و رجال السياسة و صناعة القرار في تطوير و رقي اللغة العربية.

و رغم كل الحملات المغرضة التي يشنها أعداء الإسلام إلا أن لغة هذه الأمة قادرة على التجدد و استحداث العبارة في شؤون العلم و الحضارة ، وهي باقية ما بقي كتاب الله يتلى ، و باقية ما بقي الآذان يرفع ، فبها أنزل الذكر الذي وعد الله بحفظه ، وفي ذلك حفظ لها ، قال تعالى : ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، قيما)) ، فطوبى للضاد بهذا الفضل الذي لا يوفيه حق الحفظ إلا الله تعالى .